ملخّص برنامج نشرة اخبار القمر - الحلقة (٨) / عبد الحليم الغزّي

النشرة الزهرائية (ج٨)

هل يرتكب المعصوم المكروه ؟

الاربعاء : ٦/ذوالحجة/١٤٤٣هـ - الموافق ٦/٧/٢٠٢٢م

سؤالٌ من كندا من الأخت الفاضلة أم فاطمة، نَصَّ سُؤالها: **هل يَفعلُ الإمامُ المعصومُ المكروه؟!**

سؤالٌ ربّما قد لا يكونُ مُهمّاً بالنسبةِ لكثيرين، لكنَّ السؤالَ في الحقيقةِ يتناولُ مَطلباً دقيقاً ودقيقاً جدّاً، سأجيبُ على هذا السؤالِ في هذهِ الحلقة بحدودِ ما يسمحُ به الوقت.

سأجعلُ الحديثَ في عدَّة اتجاهات:

الاتجاهُ الأوّل: سأحدِّثكم عن المكروه في سياقِ الأحكام الشرعيَّة، أو ما هو معروفٌ في أجواءِ دارسي العلوم الدينيَّة، ما يُصطلحُ عليها "الأحكامُ التكليفيَّة".

الأحكامُ التكليفيّةُ الَّتي هي تكليفُنا الشرعي تنقسمُ إلى خمسةِ أحكام:

- حُكمُ الوجوب.
- وحُكمُ الحرمة.
- وحُكمُ الاستحباب.
- وحُكمُ الكراهة.
- وحكمُ الإباحة.

هذه العناوينُ هي عناوينُ الأحكامِ التكليفيّة، عناوينُ أحكامنا الشرعيّةِ في حياتنا الدينيّةِ والدنيويَّةِ على حدٍّ سواء، الأساسُ الَّذي صُنِّفت عليهِ هذهِ الأحكام؛ (ملاكاتُ الأحكَام).

والمرادُ من ملاكاتِ الأحكام؛ المضامينُ الَّتي لأجلها شُرِّعت هذهِ الأحكام، والَّتي يُعبّرُ عنها بالمصالح والمفاسد، بالمنافع والمضار.

- فَحُكمُ الوجوب ينطلقُ من مَصلحة عاليةٍ جدّاً.
- وحُكمُ الحُرمة ينطلقُ من مَفسدةٍ شديدةٍ جدّاً.
- أمَّا حُكمُ الاستحباب فإنَّهُ ينطلقُ من مَصلَحةٍ هي دونَ مصلحةِ حُكم الوجوب.
- وكذلك الكراهةُ فإنَّها تنشأ من مَفسدةٍ هي في الشدَّة دونَ مفسدةِ الحُرمة.
- أمَّا الإباحةُ فإنَّ المصلحةَ تكونُ في إعطاءِ الحريّةِ للمكلَّف، وقد تُقسَّمُ الإباحةُ على مراتب ولا أريدُ الخوضَ في كُلِّ هذهِ التفاصيل إنَّما هي بياناتٌ إجماليَة.

صارَ واضحاً موقعُ المكروهات.

المكروهات: أمورٌ إذا ما ابتعدنا عنها وتجنّبناها فإنَّنا ندفعُ عن أنفسنا ضرراً، وفي الوقتِ نفسهِ نُحصِّلُ أجراً أخرويّاً، هذهِ صورةٌ إجماليّةٌ لمعنى المكروهِ ولموقعِ المكروه في سياقِ الأحكام التكليفيّة.

من الآخِر: المكروهُ بالنسبة لنا بإمكاننا أن نرتكبهُ فلا يترتَّبَ إثمٌ أخرويّ على ذلك.

كُلُّ هذا الَّذي بيّنتهُ وذكرتهُ وشرحتهُ بإيجاز عن الأحكام التكليفيّة من شأني ومن شأنكم، الإمامُ المعصومُ لهُ شأنٌ آخر في كُلِّ شيء، آلُ مُحَمَّد لا نستطيعُ أن نقيسَ شؤونهم على شؤوننا ونحنُ شيعتهم، (**مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُم وَمَنَ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ إِلَيْكُم**)، لنا شأننا ولكم شأنكم آلَ مُحَمّد، نحنُ نبدأ بكم ونأخذُ توحيدنا عنكم، وإذا قصدنا اللّه توجّهنا إليكم، (**ومن اعْتَصَمَ بِكُم فَقَد اعْتَصَم بِاللّه**)، وإذا أردنا الاعتصامَ باللّهِ فإنَّنا نعتصمُ بكم آلَ مُحَمَّد.

هذا هو الاتجاهُ الأول.

الاتجاهُ الثاني: سأحدِّثكم عن المنطقِ الَّذي على أساسه أحاولُ أن أفهم ما يرتبطُ بمضمون السؤال.

هُناكَ المنطقُ الطوسي منطقُ حوزةِ النَّجف وكربلاء؛ منطقُ مراجع الشيعة مُنذُ أن تأسّست حوزةُ النَّجف سنة (٤٤٨) للهجرة وإلى هذه اللحظة، المنطقُ الطوسي هكذا يرسمُ شخصيةَ الإمام؛ "**من أَنَّهُ شخصيَّةٌ مُميّزةٌ اجتماعيّاً من جهة الأُسرةِ والنَّسب**، إلى بقيّةِ التفاصيلِ الأخرى، **شخصيّةٌ مميّزةٌ اجتماعيّاً تمتلكُ من المَلَكاتِ والمواهبِ والخصالِ الَّتي هي عطاءٌ من عطاء اللّه، تُسبِغُ على تلك الشخصيّةَ الاجتماعيّةِ المميّزةَ هذه المواهب كمالاً وفضلاً لشخصِ الإمامِ، لشخصِ المعصوم**"،

هذا هو المنطقُ الَّذي بُني عليه فكرُ حوزةِ النَّجف، وإذا ما بحثنا عن جذورهِ فإنَّهُ عزفٌ على النوتةِ السقيفيةِ مع إضافةِ تحسينات، فرجالُ سقيفةِ بني ساعدة وفقاً للمذاقِ الجاهلي في تشخيصِ رؤَساءِ القبائل اختاروا خُلفاءهم، إنَّها موازينُ الجاهليّة بعينها، عُلماءُ الشيعةِ كذلك فعلوا اعتمدوا الموازينَ نفسها ولكن أضافوا إليها بعضاً من التحسينات، بعضاً من التكميلات وغاصوا في حفرةِ علمِ الكلام النَّاصبي ووضعوا لنا أئمَّةً بحسبِ موازينهم، فالإمامُ في أجواءِ حوزةِ النَّجف؛ شخصيّةٌ آدميّةٌ تتميّزُ اجتماعياً، وتمتلكُ من المواهبِ والقدراتِ الَّتي تُضفي كمالاً على هذه الشخصيّة، وتلكَ المواهبُ والقُدرات عطاءٌ من اللّه.

الأنبياءُ من شيعةِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد لابُدَّ أن تعرفوا هُناكَ فارقٌ كبيرٌ بينَ عصمةِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد - إنَّني أتحدَّثُ عن الأئمَّة الأربعة عشر عن مُحَمَّد وعليٍّ وفَاطمَة أئمَّة الأئمَّة، وعن الأئمَّة مَن وُلِد فَاطمَة من المجتبى إلى القائم فقط - هؤلاء عصمتهم تختلفُ اختلافاً كاملاً عن عصمةِ الأنبياء، الأنبياءُ من شيعتهم، عصمةُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد عصمةُ حقائق، حقائقهم معصومة، ذواتهم، صفاتهم، أفعالهم، هي آثارُ حقائقهم، أمَّا الأنبياءُ والمعصومونَ من العترةِ الطاهرة؛ "كالحوراء زينب، كأبي الفضل العبّاس"، وغيرهما، هذه عصمةٌ للذَّات، والصفات، والأفعال، وتتجلَّى في الجهة السلوكيّة الَّتي هي من آثارِ الذَّات والصفات.

في سورة الأنبياء، الآية التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**وَلَهُ** - للّه سبحانهُ وتعالى - **وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** - "ومَن"، كما هو معروفٌ في التعابير العربيّة للعقلاء، لكُلِّ عاقلٍ مَنَ الملائكة، منَ الجنِ، منَ الإنس، ومن سائرِ دَوابِ السَّماوات والأرض من الكائنات العاقلة، ثُمَّ ماذا تقولُ الآيةُ - **وَمَنْ عندَه** - إنَّهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، هذه مجموعةٌ تختلفُ عن الجميع لا يُقاسُ بآلِ مُحَمَّد أحد - **وَمَنْ عندَه لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾، أعتقدُ أنَّ الآيةَ واضحةٌ، جعلت فاصلاً واضحاً بينَ جميعِ عُقلاء السَّماواتِ والأرض وبينَ هذهِ المجموعة، الإمامُ الصَّادقُ يقولُ للمفضَّل بخصوصِ هذهِ الآية: (وَمَنْ عِنْدَهُ)، وَمَن عِنْدَهُ من غَيرِهُم، من

غَيرُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد يكونونَ عندَ اللَّهِ سُبحانهُ وتعالى إنَّهم الأقربُ إلى اللّه، هؤلاءِ حتَّى وإن كانوا قريبينَ منهُ فإنَّهم بعيدون إنَّهم أهلُ السَّماواتِ والأرض لكنَّ الأقربَ المقَرَّبَ هُم الَّذينَ عندهُ.

في سورة ص، الآية الخامسة والسبعين بعدَ البسملة، حينَ رفضَ إبليسُ السجود فماذا قالَ لهُ اللّه سُبحانهُ وتعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾، كانَ مُستكبراً إبليس لم يكن من العالين، الآيةُ الَّتي قبلها: "**إِلَّا إِبْلِيسَ**"، إلَّا إبليس رفضَ السجود، "**إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**"، لكنَّ الآيةَ تريدُ أنْ تُحدِّثنا عن العالين الَّ ذينَ هُم عندَ اللّه، الحديثُ عن رسول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وآله حينَ سألهُ السائلُ مَن هؤلاء؟ فقالَ: أنا وَعَلِيّ وفَاطِمَة والحَسَنُ والحُسَين، هؤلاء هُم العالون "وَمَنْ عِنْدَه".

العالَونَ هُم الَّذينَ لا يسجدون وإنَّما يُسجدُ لهم، وكانَ آدمُ قبلةً كانَ آدمُ قبلةً للملائكة أن سجدوا للنور الَّذي تجلَّى من العالين في آدم، فآدم قبلةٌ، حقيقةٌ آدم هي الأخرى ساجدةٌ لذلك النور، هؤلاء فوقَ التكليف، ولذا لا معنى للمكروهِ في أجوائهم، الَّذينَ يُكلَّفونَ الملائكةُ، الَّذينَ يُكلَّفونَ آدمُ والأنبياء، الَّذينَ يُكلَّفونَ إبليس والآخرون، أمَّا هؤلاء فوقَ التكليفَ هؤلاء هُم العالون.

في الزيارة الجامعة الكبيرة من مفاتيح الجَنان: **خَلَقَكُم اللَّهُ أَنْوَاراً** - فأينَ هذا الَّذي يتحدَّثُ عنه المنطقُ الطوسي من أنَّ الإمامَ المعصومَ شخصيّةٌ تتميّزُ اجتماعياً وعندها مجموعةٌ من المواهبِ والملكاتِ والقُدرات الَّتي تُضفي كمالاً على هذهِ الشخصيّة وهي عطاءٌ من اللّه، ولذا فإنَّ الطوسيينَ الَّذينَ منطقهم منطقُ رجل الدين الحمار:

- يقولونَ عن المعصوم؛ إنَّهُ لا يعلمُ الغيب.
- يقولونَ عن المعصوم؛ من أنَّ الغفلةَ تُصيبهُ، حديثٌ عن الغفلةِ العلميّة.
- يقولونَ عن المعصوم؛ من أنَّهُ ينسى ويسهو.
- يقولونَ عن المعصوم؛ من أنَّهُ قد يتجاوزُ حدود الآدابِ في بعض الأحيان.
- يقولونَ عن المعصوم؛ من أنَّهُ قد يدخلُ في مشاريع فاشلة.
- يقولونَ عن المعصوم؛ من أنَّ أئمَّةَ الضلال يكونون أذكى منه في الجانب السياسي.

هذا كُلُّه في كُتبِ مراجعِ حوزة النَّجف، وقد قرأتُ هذا من كُتبهم في العديد من المرّات.

ومن هُنا فإنَّهم يقولونَ؛ من أنَّ المعصومَ يتركُ المندوبات، من أنَّ المعصومَ يرتكبُ المكروهات، إلى غيرِ ذلك، ما أعتقدهُ من خلال ثقافة الكتاب والعترة شيءٌ آخر.

المَنطقُ الزهرائي هكذا يقول: **خَلَقَكُم اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُم بِعَرْشِه مُحْدِقِين** - هذه حقائقُهم المعصومة، المُحدِقُ بالشيء هو المُحيط به، ومن هُنا يُقالُ للبستان الَّذي يُحيطُ بالبيت من جميع جهاته حديقة، فقد أحدقَ بالبيتَ من جميع الجهات.

- حَتَّى مَنَّ عَلَينَا بِكُم - فأنتُم حقائقُ نوريّة لا كما يقولُ الطوسيّون من أنَّكم شخصيَّاتٌ تميّزت اجتماعياً ونالت ما نالت بعطاء من اللّه من المواهبِ والملكات الَّتي جعلتكم في حالة من الفضل والكمال، ولكن من فَضلٍ وكمالٍ نسبي، لأنَّ المنطقَ الطوسيّ يتحدَّثُ عن ارتقاء مراتبِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ حتَّى بسببنا حينما نُصلِّي عليهم، فإنَّ صلاتنا تكونُ سبباً لارتقائهم، هكذا يتحدَّثُ المنطقُ الطوسيّ الأخرق، هكذا يتحدَّثُ مراجعُ النَّجفَ وكربلاء.

إلى أن تقولَ الزيارةُ الشريفة: **وَجَعَلَ صَلاتَنَا عَلَيْكُم وَمَا خَصَّنَا بِه مِنْ وِلَايَتِكُم** - ليسَ سبباً لارتقائكم وإنَّما - **طَيِّباً لِخَلْقِنَا وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَتَزكِيَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا** - صلاتنا عليكم تكونُ سبباً لارتقائنا نحنُ لا لارتقائكم أنتم سادتي آلَ مُحَمَّد كما يقولُ منطقُ رجال الدين الحمير من مراجع حوزةَ النَّجف وكربلاء، هذا هو المَنطقُ الزهرائيّ، فلا وجودَ للمكروه في قاموس هذا المنطق بالنسبة لمُحَمَّد وآل مُحَمَّد، هذه الأحكامُ ترتبطُ بي وبكم، لا معنى للمكروه، ولا معنى للمستحب، ولا معنى للواجبِ والمحرّم في ساحة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، هذه ذواتٌ نُورَيَّةٌ لا علاقةَ لها بهذه العناوين.

حينما يُطبقونها لأنَّهم يُمثِّلونَ الأنموذجَ العمليّ الأمثَلَ الَّذي يُعبِّر عنهُ "**بالأسوة**"، لأجل أن نتأسّى بهم، القضيَّةُ أعمقُ بكثير.

في الدعاء المهدوي الَّذي وردنا من النَّاحية المقدَّسة والَّذي يُقرأُ في شهرِ رجب: **لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك** - هذا هو تعريفُ عصمةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، أتحدَّثُ عن الأئمَّة المعصومين الأربعة عشر.

هذا أدقُّ تعريف لعصمةَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد،

في دعاء ليلة المبعث في شهرِ رجب، ليلةُ السابع والعشرين من شهرِ رجب هكذا نقرأُ من مفاتيح الجنان: **وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيرِك** - هذه هي الحقائقُ العالية، العالون.

في دعاء الاستئذان حينما نذهبُ إلى زيارة السرداب الشريف في سامراء، أو حينما نزورُ مَشاهدَهم: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكَّامٍ يَقُومُونَ مَقَامَهُ لَو كَانَ حَاضِراً فِي الْمَكَانَ** - هؤلاء هُم وجههُ لأنَّهُ لا يَقومُ في المكان فتجلَّى في هذه الشخصيَّات النُّوريَّة الإلهيَّة.

في سورة الكهف، الآية العاشرة بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾.

وهذا التعبيرُ وردَ أيضاً في سورة فُصِّلت، الآية السادسة بعدَ البسملة: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ**﴾.

وهُنا في سورة الكهف: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾،

هذا المطلبُ حدَّثتكم عنهُ في مجموعة حلقات (اعرف إمامك)، حين حدَّثتكم عن المقام البشري المطلق، وعن المقام البشري المقيد للإمام المعصوم.

مراجعُ الشيعة عموماً في أجواء المنهج الطوسي؛

- منهم من ذهبَ إلى أنَّ المعصومَ لا يرتكبَ المكروه.
- ومنهم من ذهبَ إلى أنَّ المعصومَ يرتكبَ المكروه، إذا كانَ في ذلكَ من بيانٍ وتشخيصٍ للمكروه من أنَّهُ ليسَ مُحرّماً.
- وهُناكَ من قالَ: من أنَّ ارتكاب المكروه لا يقدحُ في العصمة.

حتَّى الَّذينَ قالوا من أنَّ المعصوم لا يرتكبَ المكروهَ مُطلقاً إنَّهم ما أصابوا كبدَ الحقيقة، فإنَّ الحقيقةَ تتجلّى إذا دقَّقنا النّظرَ في هذين المقامين:

- **هُناكَ المقامُ البشريّ المطلق.**

لا أريدُ أن أُسهبَ في الحديث عن هذه العناوين لكنَّني سأقولُ بالإجمال، المقامُ البشريُّ المطلق حينما نقولُ عن المعصومِ من أنَّهُ وجهُ اللّه، مثلما نُخاطبُ إمامَ زماننا الحجّةَ بن الحسن في دُعاء النَّدبةَ الشريف: (**أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيه يَتوَجَّهُ الأَوْلِيَاء**)، هذا هو المقامُ البشريُّ المطلق، مَقام بشريٌّ وُصف بالبشريَّة لأنَّ الأئمَّةَ يظهرونَ لنا في عالمِ الدنيا بالهياكلِ البشريّة لا يظهرونَ بحقائقهم النّوريّةَ الأولى، هياكلهم البشريَّةُ تُمثِّلُ وجهاً من وجوههم من وجوهِ حقائقهم، لكنَّني أقول (حينما)، حينما ننظرُ إلى هذه الحيثيّة، هذه (حينما) بالنسبةِ لنا، (حينما) بالنسبةِ لعقولنا، حينما ننظر إلى هذه الحيثيّة، الإمامُ وجهُ اللّه على الإطلاق، لكنَّنا في تفكيرنا نتعاملُ معَ حيثيّات معَ لحاظات، المقامُ البشريُّ المطلقَ حينما يكونُ الإمامُ وجهَ اللّه، هذا على المستوى العَقائدي النظري.

وعلى المستوى العقائدي العملي ما تقولُهُ الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة وهي تُخاطِبهم: (**وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم**)، ذَلَّ كُلُّ شيء لوجه اللّه لأنَّ الإمامَ وجهُ اللّه وكُلُّ شيءٍ ذلَّ لوجه اللّه.

هذا المقامُ المطلقُ ما علاقةُ التشريعات الدنيويّة به؟ الوجوبُ، الحُرمةُ، الاستحبابُ، الكراهةُ، الإباحة هذه تشريعاتٌ دُنيويَّةٌ تُرابيّةٌ ترتبطُ بشؤونِ حياتنا الدنيويّةِ التُرابيّة، ما علاقةُ هذه الأمورِ الَّتي تكونُ تافهةً لا قيمةَ لها بالنسبةِ لهذا المقام، هذهِ أمورٌ مهمَّةٌ بالنسبةِ لَي ولكم، بالنسبةِ لهذا المقامِ هذهِ أمورٌ تافهةٌ.

إذاً المقامُ البشريّ المُطلق:

- من الجهة النظريّة وجهُ اللّه.
- ومن الجهة العمليّة؛ (وذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم).

المقامُ البشري المقيّد:

- من الجهة النظريّة هو حُجَّةُ اللّه، حُجَّةٌ علينا.
- ومن الجهة العمليّة هو الأسوةُ الإلهيّةُ بينَ أظهرنا.

في المقام البشَري المطلَق : لا وجودَ لهذه العناوين "الوجوب، الحُرمة، الاستحباب، الكراهة، الإباحة".

في المقام البشري المقيّد : لأنَّ الإمامَ أسوةٌ إلهيّةٌ لنا فإنَّ العناوينَ هذهِ تتعلَّقُ بهذا المقام من جهة التأسّي لا من جهةِ حاجةِ المعصومِ لهذهِ العناوين، فهذهِ العناوينُ ترتبطُ بِملاكات المعصومُ في المقام البشري المقيّد لا يحتاجها.

كتابُ الوَسائلَ (وسائلُ الشيعة) للحرِ العاملي/ الجزء السادس عشر/ طبعةُ المكتبة الإسلامية/ طهران/ إيران/ صفحة ٥١٢/ الباب العاشر/ الحديثُ السادس: **بِسَنده، عَن الحُسين بن أبي العَرندس قَالَ: رَأيتُ أبَا الحَسَنِ بِمِنَى** - يتحدَّثُ عن إمامنا الكاظمِ صلواتُ اللّه عليه، الحُسين بن أبي العرندس يقول - **رَأيتُ أبَا الحَسَنِ بِمِنَى وَعَليه نُقْبَةٌ وَرِدَاء** - النُّقبةُ هو رداءٌ واسع إذا ما لَبسهُ الإنسان فإنَّهُ يُحيطُ ببدنه - **وَهُو مُتَّكِي عَلَى جَوَالِيقَ سُوْد عَلَى يَمِينه** - الجواليق هي أكياسٌ تُصنعُ من الصوف أو منَ الوبر - **فَأتَاهُ غُلامٌ أسْود بِصحَف فِيهَا رُطَب** - إمَّا بِصحَف مثلما هو مكتوب والَّذي أعتقدهُ جاءهُ بِصحفَة فيها رطب وليس بِصحف بِمجموعة - **فَجعَلَ يَتَناوَلُ بِيَسَارِه** - الإمامُ الكاظم - **فَيَأكُلُ وَهُو مُتَّكِي عَلَى يَمِينه** - تناول الطعامِ باليسار مكروهٌ - **فَحَدَّثتُ بِذَلك رَجُلاً مِنَ أصْحَابِنَا، فَقَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بنُ خَالد أنَّهُ سَمِعَ أبَا عَبد اللّه** - سَمع الإمام الصَّادق – **يَقُول: صَاحبُ هَذا الأمْرِ كِلْتَا يَديه يَمِين** - حقيقتهُ معصومةٌ كاملة، وهياكلهم البشريّة الَّتي تجلَّت فيها حقيقتهم المعصومةُ الكاملة هي الأخرى كاملةٌ بشرياً، فصاحبُ هذا الأمر كلتا يديه يَمين، مَلاكاتُ الأحكامِ لا تتعلَّقُ به، الإمامُ المعصومُ تنامُ عَيناهُ ولا ينامُ قلبه، يعني إذا كانَ مُتوضِّئاً فإنَّ وضوءهُ لن ينتقض حتَّى لو نام، أساساً الإمامُ المعصومُ هل يحتاجُ إلى الوضوء؟ قطعاً لا، لأنَّ ملاكَ الوضوء هو التطهُّر، والمعصومُ هو حقيقةُ التطهُّر فكيفَ يحتاجُ إلى الوضوء؟! وإنَّما يتوضَّأُ المعصوم، ويغتسلُ المعصوم، ويُغَسَّلُ بعدَ خُروج روحهِ من جسدهِ أيضاً وهو ليسَ مُحتاجاً لذلك لأنَّهُ الأسوة، هذا هو المقامُ البشريّ المقيد، وهو المطهَّر الَّذي طَهَّرهُ اللَّهُ في آية التطهير.

في الآيةِ الثالثة والثلاثين بعدَ البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، فهل يحتاجونَ إلى وضوء، أو غُسلٍ، أو تيمّمٍ بعدَ هذا التطهير الإلهي؟!

هكذا نُخاطبُ الحُسينَ في زياراته: (**أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ مِنْ طُهْرٍ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ، طَهُرْتَ وَطَهُرَتْ بِكَ البِلَاد، وَطَهُرَت أَرْضٌ أَنْتَ فِيهَا، وَطَهُرَ حَرَمُك**)، هذه ذواتٌ لا تحتاجُ إلى تطهير، وانظروا إلى هُراء مراجعِ حوزةِ الحمير حين يُصدرونَ الفتاوى بنجاسةِ دم المعصوم، وحينَ يتحدَّثُ ناطِقُهم العقائديَّ الرسمي الوائلي من أنَّ دماءَ الحُسينِ نَجسةٌ حتَّى بعدَ استشهاده، أيُّ منطقٍ حميريٍ هذا؟!

في الزيارة الجامعة الكبيرة هكذا نقولُ لهم: (**وَأَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتُم بِالْمَعْرُوف وَنَهَيتُم عَن الْمُنْكَرِ وَجَاهَدْتُم فِي اللَّه حَقَّ جِهَادِه حَتَّى أَعْلَنْتُم دَعْوَتَه وَبَيَّنْتُم فَرَائضَه وَأَقَمْتُم حُدُودَه وَنَشَرْتُم شَرَائعَ أَحْكَامه وَسَنَنْتُم سُنَّتَه**)، هذه هي الأسوة، هذا المقامُ البشريُّ المقيّد، مُقيّدٌ بإرادتهم، بولايتهم.

أمَّا بقيّةُ المَضامين في الزيارة الجامعة الكبيرة حينما نقولُ لهم: (**مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوجَّهَ إِلَيكُم**)، هذهِ نفحاتٌ من نفحاتِ المقام البشريّ المطلق.

فَملاكاتُ الأحكامِ هم الَّذينَ أوجدوها، والآثارُ المترتّبةُ دُنيوياً وأخروياً تحتَ وَلايتهم وتحتَ سُلطتهم، في زيارة صاحبِ الأمر صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، الزيارةُ الَّتي أوّلها: (**السَّلَامُ عَلَيكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّه وَخَلِيفَةَ آبَائه الْمَهْدِيِّين**)، هكذا نقولُ لإمام زماننا: **أَشْهدُ أَنَّ بِوَلَايَتكَ تُقْبَلُ الأَعْمَال** - الـملاكُ الأعظم وَلايتهم، هذه الأحكامُ؛ "الوجوب، الحرمة، الاستحباب، الكَراهة، الإباحة"، هذه الأحكامُ لها ملاكاتٌ صغرى، كَملاك الوضوء التطهُّر، وكُلُّ حُكمٍ لهُ مَلاكهُ الأصغر، الـملاكُ الأعظم: "وَلايةُ عليٍ والَّتي تتجلَّى في ولاية قائمِ آل مُحمَّد، إنَّهُ إمامُ زماننا، إنَّهُ أصلُ دينِنا، إنَّهُ وجهُ اللّه الَّذي إليه نتوجّه.

- **وَتُزَكِّي الأَفْعَال وَتُضَاعَفُ الحَسَنَات وَتُمْحَى السيِّئات فَمَن جَاءَ بِوَلَايَتك وَاعْتَرَفَ بِإِمَامَتك قُبِلَت أَعْمَالُه وَصُدِّقَت أَقْوَالُه وَتَضَاعَفَت حَسَنَاتُه وَمُحِيَت سَيِّئَاتُه** - هذا الَّذي يكونُ في هذا الشأن هل نأتي ونُناقشُ من أنَّهُ يفعلُ المكروه أو أنَّهُ لا يفعلُ المكروه؟! أيُّ منطقٍ حميريٍ هذا؟!

من كُلِّ ما تقدَّم يظهرُ لنا أمران:

الأمرُ الأوَّل: ملاكاتُ الأحكامِ ليسَ لها من تأثيرٍ على المعصومين.

الموضوعُ بحاجةٍ إلى أمرين؛

- إلى دقَّة في الفَهم.
- وإلى توفيقٍ في المعتقد.

والأمرُ الثاني: الأمورُ العارضةُ الَّتي تَعرِضُ عليهم كما يَعرِضُ المرضُ مثلاً، كما جرى ما جرى في كربلاء، إنَّما يجري بإذنهِم، كُلّ شيء يجري بإذن اللّه، "بإذن اللّه"؛ بإذنِ الإمام المعصوم.

حادثةٌ جاءت مذكورةً في الجزء الثاني من (عيونِ أخبار الرِّضا) للصَّدوق:

طبعةُ مؤسّسة الأعلمي، صفحة (٢٣١)، الحديثُ الثاني والعشرون: **بِسَنده، عَن هَرثَمَة بن أَعيَن** - وهرثمة أسمٌ من أسماء الأسد - **يقول: دَخَلتُ عَلى سَيِّدي ومَولاي يعني الرِّضا عَلَيه السَّلام فِي دَارِ الْمَأمُون** - لأنَّ المأمونَ جعلَ الدَّار الَّتي يعيشُ فيها إمامنا الرضا بجنبِ قَصره حتَّى يكونَ تحتَ نظره - **وكانَ قَد ظَهرَ فِي دَارِ الْمَأمُون أنَّ الرِّضَا قَد تُوفِّيَ وَلم يَصُح هَذا القَول، فَدَخلتُ أُريدُ الإِذنَ عَلَيه، قَالَ: وكَانَ فِي بَعضِ ثقاتِ خَدمِ الـمَأمُونَ غُلامٌ يُقَالُ لَهُ صَبيحُ الدَّيلَمي، وكانَ يَتوَالى سَيِّدي حَقَّ وَلايَته، وَإِذَا صَبيحٌ قَد خَرجَ فَلمَّا رَآنِي قَالَ لِي: يَا هَرثَمَة، أَلَستَ تَعلمُ أَنِّي ثقةُ الْمَأمُونِ عَلَى سِرِّه وَعَلانيَته؟ قُلتُ: بَلى، قَالَ: اعْلَم يَا هَرْثَمَة أَنَّ الْمَأمُونَ دَعَانِي وَثَلاثينَ غُلاماً من ثقاته عَلَى سِرِّه وَعَلانيَته فِي الثُّلُث الأَوَّل من اللَّيل، فَدَخَلتُ عَلَيه وَقَد صَارَ لَيلُهُ نَهَاراً من كَثرَة الشُّمُوع، وَبَينَ يَدَيه سيُوفٌ مَسلُولَةٌ مَشحُوذَةٌ مَسمُومَةٌ** - مَسلولةٌ أُخرِجَت من الأَغمدة، مَشحوذةٌ قد شُحِذَت قد حُدّت، مسمومةٌ قد أُنقعت في السَّم - **فَدعَا بِنا غُلاماً غُلاماً** - هو يتحدَّثُ عن نفسه وعن الثلاثينَ غُلاماً - **وَأَخذَ عَلينَا العَهدَ وَالْميثاقَ بلسَانه وَلَيسَ بِحَضرَتنَا أَحَدٌ من خَلقِ اللَّه غَيرَنَا، فَقَالَ لَنَا** - المأمون يقولُ لهم - **هَذا العَهْدُ لَازمٌ لَكُم أَنَّكُم تَفعَلُونَ مَا آمُرُكم بِه وَلَا تُخَالفُوا فيه شَيئاً، قَالَ: فَحَلَفْنَا لَهُ، فَقَالَ: يَأخُذُ كُلُّ وَاحد منكُم سيْفاً بِيَده وَامْضُوا حَتَّى تَدْخُلوا عَلى عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا فِي حُجرته فَإِنْ وَجَدتُمُوهُ قَائِماً أو قَاعداً أو نَائِماً فَلا تُكَلِّموه وَضَعوا أَسْيَافَكُم عَلَيه وَاخلُطوا لَحمَهُ وَدَمَهُ وَشعرَهُ وَعَظمَهُ وَمُخَّه، ثُمَّ اقْلِبُوا عَلَيه بِساطَهُ وَامْسَحُوا أَسْيَافَكُم بِه وَصيروا إِلَيَّ، وَقَد جَعلتُ لكُلِّ وَاحدٍ منْكُم عَلَى هَذا الفعْل وَكتمَانه عَشَرَ بِدَرِ دَرَاهم** - بِدَر جمعُ لِبدْرَة، وبَدْرَةُ الدراهم كيسٌ يُوضعُ فيه عشرةُ آلاف من الدراهم - **وَعَشرَ ضِيَاعٍ مُنْتَخَبَة** - ضَياع يعنِي بساتين، يعني حقول مزروعة - **وَالحُظُوظَ عندي مَا حييت وَبَقيْت** - جعلت لكم حظوظاً منزلةً عاليةً - **قَالَ: فَأَخَذْنَا الأَسْيَاف بِأيدينَا وَدَخَلنَا عَلَيه فِي حُجرته فَوَجَدْنَاهُ مُضْطجِعاً يُقَلِّبُ طَرْفَ يَدَيه وَيتكَلَّمُ بِكَلامٍ لَا نَعرِفُهُ، قَالَ: فَبَادَرَ الغُلْمَان إِلَيه بِالسُّيوف، وَوَضَعتُ سَيفِي وَأنا قَائِمٌ أَنْظُرُ إِلَيه وَكَأَنَّهُ قَد كَانَ عَلِمَ مَصيرَنَا إِلَيه فَلَيسَ عَلَى بَدَنه مَا لَا تَعْمَلُ فيه السُّيوف** - كانَ يلبسُ ثيابهُ الخفيفة - **فَطَوَوا عَلى بِسَاطه** - أي قطَّعوه بالسيوف ثُمَّ طووا على بِساطه - **وَخَرَجُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى الْمَأمُون فَقَالَ: مَا صَنَعتُم؟ قَالُوا: فَعَلنَا مَا أَمَرْتَنا بِه يَا أَميرَ الْمُؤمنين، قَالَ: لَا تُعيدوا شيئاً ممَّا كان، فَلمَّا كانَ عند تَبلُّج الفَجر خَرجَ الْمَأمُون فَجلسَ مَجلسَهُ مَكْشُوفَ الرَّأس** - هذه علائمُ صاحب المصيبة - **مُحلَّلَ الأَزْرَار وَأَظْهَرَ وَفَاتَهُ** - أظهرَ وفاةَ الرضا - **وَقَعدَ للتَّعزية، ثُمَّ قَامَ حَافياً حَاسراً فَمَشَى لينظُرَ إِلَيه وَأَنا بَينَ يَدَيه** - هذا الَّذي يقولهُ صبيحٌ الديلمي - **فَلمَّا دَخلَ عَليه حُجرتهُ سمع هَمْهَمَتَهُ** - سَمع صوتَ الإمام الرضا - **فَأَرْعَد** - فأرعدَ المأمونَ خوفاً - **ثُمَّ قَالَ: من عندَهُ؟ قُلتُ: لَا علمَ لَنا يَا أَميرَ الْمؤمنين، فَقَال: اسرِعُوا وَانظُرُوا، قَالَ صَبيح: فَأَسْرعنَا إِلَى البَيت فَإِذَا سَيِّدي عَلَيه السَّلام جَالسٌ فِي محرَابه يُصَلِّي وَيُسَبِّح** - قَطَّعوهُ بالسيوف في الليلة الماضية - **فَقُلتُ: يَا أَمير الْمُؤمنين هَو ذَا نَرى شَخصاً فِي محرَابه يُصَلِّي وَيُسَبِّح، فَانْتَفَضَ الْمَأمُونَ وَارْتَعد ثُمَّ قَال: غَدَرتُمُونِي لَعَنَكُم الله؟!** - يعني لم تقتلوه؟! - **ثُمَّ التَفَت إِلَيَّ من بَين الجَمَاعَة فَقَالَ لِي: يَا صَبيح، أَنْتَ تَعرِفُهُ فَانْظُر مَن الْمُصَلِّي عندَه** - رُبّما هذا ما هو بالرضا - **قَالَ صَبيح: فَدَخلتُ وَتَولَّى الْمَأمُونُ رَاجِعاً، ثُمَّ صرتُ إِلَيه عندَ عَتبة البَاب، قَالَ عَلَيه السَّلام لِي: يَا صَبيح، قُلتُ: لَبيك يَا مَولاي وَقَد سَقَطتُ لِوَجْهِي** - من حَيرته - **فَقَالَ: قُم قُم يَرحَمك اللّه، "يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّه بِأَفْوَاهِهِم وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِه وَلَو كَرِهَ الكَافِرُون"، قَالَ: فَرجَعتُ إِلَى الْمَأمُون فَوجَدتُ وَجْهَهُ كَقِطَعِ اللَّيلِ الْمُظلِم، فَقَالَ لِي: يَا صَبيح مَا وَرَاءك؟ فَقُلتُ لَهُ: يَا أَميرَ الْمُؤمنين، هُو وَاللَّه جَالسٌ فِي حُجرته وَقَد نَادَانِي وَقَالَ لِي كَيْتَ وَكَيْت، قَال: فَشَدَّ أَزْرَارَهُ** - المأمون شدَّ أزرارهُ - **وَأَمَر بِرَدِّ أَثْوَابِه وَقَالَ قُولُوا إِنَّهُ كَانَ غُشِي عَلَيه وَأَنَّهُ قَد أَفَاق، قَالَ هَرثَمَة: فَأَكثرتُ للّه عَزَّ وَجَلَّ شُكراً وَحمداً، ثُمَّ دَخلتُ عَلَى سَيِّدي الرِّضَا عَلَيه السَّلام فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: يَا هَرْثَمَة لَا تُحَدِّث أَحداً بِمَا حَدَّثتَ بِه صَبيح إِلَّا مَن امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ للإِيمَانِ بِمَحَبَّتنَا وَوَلَايَتنَا، فَقُلتُ: نَعم يَا سيدي، ثُمَّ قَالَ عَلَيه السَّلام: يَا هَرْثَمَة، وَاللَّه لَا يضرُّنَا كَيدهُم شَيْئاً حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَه** - يعني إلى الوقت الَّذي نحنُ نر يدُ لهذه الأعراض ولهذه الآثار أن تظهر علينا، وهذا الأمر يجري في هذه الأعراض ويجري في ملاكات الأحكام أيضاً.

الخُلاصةُ الَّتي وصلنا إليها:

حينما يكونُ السؤالُ هكذا؛ هل يرتكبُ المعصوم المكروه؟ نصّ سؤال السائلة: (هل يفعلُ الإمامُ المعصوم المكروه؟)، أقولُ للسائلة الكريمة هذا السؤالُ ليسَ دقيقاً، هذا السؤالُ يُسألُ بخصوصي أنا، بخصوصك أنت، بخصوص عامّة الشيعة، أمَّا المعصومُ صلواتُ اللّه عليه فهو أعلى شأناً من ذلك.

الحكمةُ الَّتي أصلُ إليها بعدَ كُلِّ هذا البيانَ:

أن أُلفت أنظاركم كي تتلمَّسوا الفا رقَ الكبير بينَ مَنطقِ رجل الدين الحمار، وبينَ منطقِ رجل الدين الإنسان، فهذا يُساعدكم كي تعرفوا الموضعَ الصحيح الَّذي تضعونَ أقدامَكُم فيه، احذروا من رجال الدين الحمير، لا تأخذوا دينكم من رجال الدين الحمير، فهؤلاءِ حميرٌ بشرٌ لا يفقهون.

الفارقُ بينَ منهج رجل الدين الحمار ومنهج رجل الدين الإنسان:

أنَّ رجلَ الدين الحمار يقولُ لكُم عن منهج رجل الدين الحمار من أنَّهُ هو هذا منهجُ رجل الدين الإنسان.

أمَّا منهجُ رجل الدين الإنسان؛ فهو لا يعرفهُ، وإذا ما تصدَّى أحدٌ لبيانه فإنَّهُ سيحاربهُ.

أمّا رجل الدين ا لإنسان يضعُ بينَ أيديكم المنهجين؛ يقولُ لكم منهج رجل الدين الحمار هو هذا، ومنهجُ رجل الدين الإنسان هو هذا، واحترموا عقولكم.

في أدعية شهرِ رمضان، هُناكَ دُعاءٌ يُعرَفُ بدعاء الحج، يُستحبُّ أن يُقرأ يومياً عند المغرب، مَرويٌّ عن إمامنا الصادق رواهُ الكليني في الكافي، من (مفاتيح الجنان) الدعاءَ الَّذي أوَّلُهُ: (**اللَّهُمَّ إِنِّي بِكَ وَمِنْكَ أَطْلُبُ حَاجَتِي، وَمَن طَلَبَ حَاجَةً إِلى النَّاسِ فَإِنِّي لَا أَطْلُبُ حَاجَتِي إِلَّا مِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**).

يستمرّ الدعاء إلى أن يقول الدعاء: **وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِهَوَانِ مَنْ شئتَ مِنْ خَلْقك** - هذه كرامةٌ يا ربِّي، إذا ما أهانني النَّاس وأنا في سبيلِ خدمة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هذه كرامةٌ، لكنَّ المشكلةُ أين؟ - **وَلَا تُهِنِّي** - الهوان هُنا - **بِكَرَامَةِ أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِك** - من أولياء مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، فماذا يقولُ مراجعُ النَّجف وكربلاء وهم في كُتبهم وعقائدهم ومناهجهم يُهينونَ مُحَمّداً وآلَ مُحَمّد؟!